مجلة روافد للبحوث و الدراسات / مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية
جامعة غرداية / العدد الرابع (جوان 2018 م)
E:2588-1787 / P: 2543 - 3563
/http://rawafid.univ-ghardaia.dz

علاقة شعانبة متليلي بأولاد سيدي الشيخ خلال القرن التاسع عشر ميلادي - من خلال الكتابات الفرنسية

أ. الشيخ لكحل

قسم التاريخ، جامعة غرداية

أ.د. محمد الزين، جامعة سيدي بلعباس

ملخص

تناولت هذه الورقة البحثية موضوع علاقة شعانبة متليلي بأولاد سيدي الشيخ خلال القرن التاسع عشر، وذلك من خلال الكتابات الفرنسية. ويبدو أن العلاقة التي كانت بين أولاد سيدي الشيخ والشعانبة هي علاقة روحية وتاريخية؛ حيث شاركوهم جنبا إلى جنب في المقاومات الشعبية ضد المستعمر الفرنسي، وتجسّد ذلك خاصة في ثورة أولاد سيدي الشيخ(1864-1866)، وثورة الشيخ بوعمامة(1881-1908)، وبفضل هذه العلاقة الوطيدة مكث أولاد سيدي الشيخ بمتليلي، وأصبحوا بمرور الزمن أنسابا وأصهارا للشعانبة. وخلص الباحث إلى نتيجة مفادها أن علاقة شعانبة متليلي بأولاد سيدي الشيخ خلال القرن التاسع عشر، لم تكن علاقة خضوع وتبعية "عمياء"، وإنما كانت علاقة ود واحترام وتبجيل؛ وقد تأثرت في بعض الفترات بالأحداث السياسية، خاصة فيما يتعلق بالمحتل الفرنسي، إلا أنها لم تنح نحو القطيعة.

الكلمات المفتاحية: شعانبة متليلي؛ أولاد سيد الشيخ؛ الكتابات الفرنسية؛ المقاومة الشعبية؛ الشيخ بوعمامة.

Résumé

Cet article traite le sujet de la relation entre les Chaamba de metlili et les Ouled Sidi Cheikh au cours du XIXe siècle, à travers les écrits français. Il semble que la relation entre les Ouled Sidi Cheikh et les Chaamba de metlili était une relation spirituelle et historique, où ils ont participé côte à côte dans les résistances populaires contre les colonisateurs français, et reflète notamment dans la révolution des Ouled Sidi Cheikh (1864-1866), et la révolution de Cheikh Bouamama (1881-1908), et Grâce à cette relation forte, les Ouled Sidi Cheikh sont restés à Metlili et ils sont devenus, avec le temps, ses beaux-frères .Le chercheur a conclu que la relation entre les Chaamba

de metlili et les Ouled Sidi Cheikh au cours du XIXe siècle, n'était pas soumis à la subordination «aveugle », mais elle a été une relation respectueuse et vénérée, qui peut être affecté à certaines périodes d'événements politiques, en particulier en ce qui concerne l'occupant français, mais elle n'a pas tendé vers l'éloignement entre les Chaamba de metlili et les Ouled Sidi Cheikh

Mots -Clés : les Chaamba de metlili, les Ouled Sidi Cheikh, les écrits français, Résistances ; Cheikh Bouamama

تقديم:

تعتبر الكتابات الفرنسية من أهم مصادر التاريخ المحلي بالجزائر، خاصة خلال العهد الاستعماري، والسبب يعود إلى أن أصحابها في الغالب هم من صناع الأحداث أو من معاصريها، كما أن الكتابات المحلية عن هذه الفترة محدودة، بالإضافة إلى ضياع أغلبها أو اخفائها من هذا الطرف أو ذاك. ولعل هذا من أهم الصعوبات التي واجهتنا خلال مسيرتنا في البحث عن التاريخ المحلي لمنطقة متليلي.

لقد اعتمدنا في تحضيرنا لهذه الورقة البحثية على الوثائق الأرشيفية؛ خاصة بعضا من رصيد أرشيف ما وراء البحار باكس آن بروفانس (Aix-en-Provence) بفرنسا. وهي تتمثل في التقارير العسكرية التي كان يقدّمها الضباط الذين عملوا في المنطقة إلى الحكومة العامة بالجزائر، أو تلك التقارير السرية التي كان يكتبها الحكام العامون للجزائر ويبرقون بها إلى حكومة باريس، وكذلك المذكرات الشخصية لضباط الحملات العسكرية لبعض القادة والمسئولين الفرنسيين الذين عملوا في الجزائر، بالإضافة إلى تلك الكتابات والمؤلفات التي كُتبت خلال القرن التاسع عشر ميلادي أو قريبا منه، والتي اعتمد كُتّابها على تلك التقارير والمراسلات السرية أو نقلوها عن الجنود والضباط.

أما اختيارنا لهذه الفترة بالذات للدراسة، فلأنها عرفت أحداثا كثيرة؛ أبرزت حقيقة العلاقة بين شعانبة متليلي وأولاد سيدي الشيخ، فقد شهدت دخول الاستعمار الفرنسي إلى الجزائر، وما نتج عنه من مقاومة الجزائريين له عامة وأبناء المنطقة على وجه الخصوص.

- **أولا: شعانبة متليلي**

هم أهمّ وأقوى فرع من فروع الشعانبة[2]، يطلق عليهم شعانبة برّزقة أو البرازقة واحدها برزيق، وتعني مجموعة من الرجال الفرسان[3]. ويضم هذا الفرع ثلاثة عروش كبيرة، وتحت كل عرش توجد مجموعة من الفرق، وتنضوي تحت كل فرقة العديد من عائلات الشعانبة. وهذه العروش هي كالآتي:

عرش أولاد علوش: ويتفرع منه ثمان فرق وهي: التوامر، البهاهزة، الشلق، أولاد ابراهيم، أولاد موسى، الجرودة، أولاد عيسى بن موسى، وعميرات [4]. هذا العرش هو الأكبر عددا ويغلب عليه الطابع البدوي؛ بحيث لا نجد منه من كان مقيما في القصر أو الواحة إلا القليل.

عرش أولاد عبد القادر: ونجد فيه خمس فرق: أولاد حنيش، السوايح، العوامر، القمارة، وأولاد عمر.[5] وهو يشبه عرش أولاد علوش في الطابع البدوي.

عرش قصر متليلي: تنتمي لهذا العرش خمس فرق وهي أولاد اسماعيل، بني مرزوق، بني إبراهيم، المرابطين والشرفة [6]. ورغم أنّ هذا العرش هو من يمثل

---

(2) –الشعانبة: وتنطق كذلك الشعامبة، وهي قبيلة عربية كبيرة تنحدر من علاق بن عوف، من سليم بن منصور، من العدنانية. وفدوا إلى شمال إفريقيا إبان التغريبة الهلالية خلال النصف الأول من القرن الخامس الهجري، واتخذوا من وادي متليلي مستقرا ومقاما. وبعد تكاثر أعدادهم أصبح الوادي لا يسعهم، فتفرقوا في الصحراء وأصبحت قبيلة الشعانبة، تضم خمس مجموعات رئيسية وهي: شعانبة متليلي "البرازقة"، شعانبة المنيعة "المواضي"، شعانبة ورقلة "بوروبة"، شعانبة واد سوف، شعانبة العرق الغربي الكبير مقسمة إلى شعانبة قوارة وشعانبة بني عباس. أنظر: إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م، ص 163

(3) –P. Vellard: Le Sahara Mission et Histoire, Manus., C.C.D.S, Ghardaïa, Cote: 0007000144, f 30.

(4) –Auguste Cauneille, Les Chaanba leur nomadisme, Ed. du C.N.R.S, Paris 1968, p42.

(5) –Ibid., p43.

(6) –Ibid., p45.

المجتمع الحضري لشعانبة متليلي؛ حيث أنّ أغلبَ العائلات المنتمية إليه مقيمةٌ في قصر متليلي، إلا أنه يعتبر الأقل عددا مقارنة بالعرشين الآخرين، حيث يمثّل ما نسبته الربع، في أحسن الحالات، من تعداد شعانبة متليلي، كما أنّ أغلبَ الفرق المنتمية إليه هي حديثة الدخول إلى قبيلة الشعانبة، مثل الشرفة والمرابطين القادمين من المغرب، وبني مرزوق الوافدين من تونس، وبني ابراهيم أحفاد العائلات الميزابية التي وفدت من قصر مليكة في أواخر القرن الرابع عشر ميلادي.(7)

كما أنّ هناك العديد من العائلات الافريقية الأصل، من الذين استقدمهم الشعانبة في إطار تجارة الرقيق إلى متليلي، وبمرور الوقت تحرّروا وانضم أغلبهم تحت عائلات الشعانبة التي كانوا يخدمونها؛ فتسموا بألقابهم وانضموا إلى فرقهم وعروشهم.

ثانيا: أولاد سيدي الشيخ:

هي قبيلة عربية بالغرب الجزائري، تتربع على مساحة كبيرة من ولاية البيض، غرب منطقة متليلي، ينتسبون إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه. يعود تاريخ دخولهم للمغرب العربي، حسب أغلب الروايات، إلى القرن الرابع عشر الميلادي، حيث دخل أسلافهم الجزائرَ بقيادة سيدي معمر بن سليمان العالية مع القبائل الهلالية، واستقروا في القطاع الوهراني؛ وامتدت مناطقهم من حدود الشلف إلى البيض؛ وصولا إلى واحات فجيج في أقصى الجنوب الشرقي للمغرب الأقصى(8).

وبرز من أحفاد سيدي معمر التَيمى رجل، يدعى سليمان بن أبي سماحة، وظهر بعده حفيده عبد القادر بن محمد المكنى بـ" سيدي الشيخ"، والذي يعتبر المؤسس

(7) –Ibid., p22.

(8) – إبراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837–1934، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2011، ص 211.

والموحد الحقيقي لقبيلة أولاد سيدي الشيخ[9]؛ وهي التسمية التي أطلقت على البوبكريين الأجواد من بعده إلى حد الآن.

وُلد لسيدي الشيخ ثمانية عشر ولدا، وهم: سيدي الحاج بن الشيخ، سيدي الحاج عبد الحاكم، سيدي الحاج إبراهيم، سيدي أمحمد عبد الله، سيدي الحاج أبي حفص، سيدي عبد الرحمان، سيدي المصطفى، سيدي الحاج أحمد، سيدي محمد، سيدي التاج، سيدي بن عيسى لعرج. أما الآخرون فهم سيدي زروقي، سيدي الحاج الدين، سيدي حسن، سيدي المدني، سيدي قاسم، سيدي الموسم، وسيدي بونوار الذي دفن بمتليلي[10].

تكونت بطون قبيلة أولاد سيدي الشيخ من خلفه وتفرعت نسبة لكل ولد على حدة. أصبحت للقبيلة مكانة مرموقة ومتميزة في المناطق التي تواجد بها أعضاؤها.

تنازع أولاد سيدي الشيخ فيما بينهم حول الزعامة الدينية والقيادة السياسية بعد وفاة والدهم سنة 1616م، فانقسموا إلى قسمين:

- قسم استقر في قصر الأبيض سيدي الشيخ، حول قبر أبيهم بزعامة الابن الأكبر الحاج أبي حفص.

- قسم آخر استقر في الناحية الغربية من القصر، بزعامة الابن الثالث سيدي الحاج عبد الكريم، وعددهم أكبر[11].

وقد عاش القسم الأول حياة البداوة في الخيام مع العبيد والأتباع والخدم، ثم استقروا في شرق قصر الأبيض سيدي الشيخ وأسّسوا لأنفسهم زاوية خاصة، وسموا

---

(9) – نفسه، ص 213.

(10) – سيف الدين هيبة: الطريقة الشيخية في متليلي دراسة سوسيو أنثروبولوجية لزاوية سيدي الحاج أحمد بن بوحفص، مذكرة ماجستير في علم الاجتماع الثقافي، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2006، ص 137.

(11) – إبراهيم مياسي: المرجع السابق، ص 213.

بأولاد سيدي الشيخ الشراقة، كما أنشأ الفرع الآخر زاوية خاصة بهم أيضا، وسموا بأولاد سيدي الشيخ الغرابة.

وقد حاولت الإدارة الفرنسية تكريس هذا التقسيم في إطار سياستها الرامية إلى تحطيم نفوذ الأسر الجزائرية الكبيرة؛ ففي خضم حربها مع الأمير عبد القادر عمدت إلى توقيع معاهدة لالة مغنية مع المغرب في 18 مارس 1845م، والتي قسّمت قبيلة أولاد سيدي الشيخ إلى فرقتين: أولاد سيدي الشيخ "الشراقة" أو الشرقيين، وأصبحوا بموجب الاتفاقية جزائريين. وأولاد سيدي الشيخ "الغرابة" أو الغربيين، وأصبحوا بموجب نفس المعاهدة مغاربة[12].

ثالثا: دخول أولاد سيدي الشيخ إلى متليلي:

وفد أولاد سيدي الشيخ، أو "الزوى"، كما يسميهم أهل المنطقة، إلى متليلي، منذ نهاية القرن السادس عشر ميلادي بقدوم جدهم الأول سيدي الشيخ، ومن بعده ابنه سيدي الحاج بوحفص؛ الذي عاش في متليلي وبين الشعانبة ردحا من الزمن خلال النصف الأول من القرن السابع عشر [13]، ومنذ ذلك الحين أصبح الشعانبة يحترمون ويبجّلون أولاده وأحفاده من أولاد سيدي الشيخ ويقدمون لهم الزيارات والهدايا وغير ذلك.

لذلك فالعلاقة بين أولاد سيدي الشيخ والشعانبة علاقة روحية وتاريخية؛ حيث شاركوهم في المقاومات الشعبية، التي ثار خلالها سكان الجنوب على المستعمر وتجسّد ذلك خاصة في ثورة أولاد سيدي الشيخ، وثورة الشيخ بوعمامة، وبفضل هذه العلاقة

(12) – جاء في البند الرابع من هذه المعاهدة: "العرب التابعون للسلطنة المغربية هم المبية، حميان الجنبة عمور الصحراء وأولاد سيد الشيخ الغرابة. أما التابعون للجزائر، فهم أولاد سيد الشيخ الشراقة وكل حميان ماعدا حميان الجنبة ". أنظر:

E. Rouard De Card: Traités de la France avec les Pays de l'Afrique du Nord: Algérie, Tunisie, Tripolitaine, Maroc, A. Pédone Editeur, Paris, 1906, p 337.

(13) –A. Coÿne: Une Ghazzia dans le Grand Sahara, Adolphe Jourdan Libraire-Éditeur, Alger, 1881, p 6.

الوطيدة مكث أولاد سيدي الشيخ بمتليلي، وأصبحوا أنسابا وأصهارا للشعانبة. فأولاد سيدي الشيخ (الزوى) أثناء نزولهم إلى المنطقة كانوا عبارة عن بعض العائلات في البداية، غير أنهم تكاثروا بمرور الزمن إلى أن ضاقت بهم "شعبة سيدي الشيخ"[14] فتوزّعوا هنا وهناك عبر مدينة متليلي الشعانبة[15].

وتتحدث الكثير من الكتابات الفرنسية عن تلك العلاقة الروحية التي تجمع القبيلتين؛ فيذكر رونييه Yves Régnier أن شعانبة متليلي يبجلون أولاد سيدي الشيخ احتراما لمكانتهم الدينية.[16]

رابعا: مظاهر العلاقة بين القبيلتين خلال القرن التاسع عشر

لقد تمظهرت العلاقة بين القبيلتين خلال القرن التاسع عشر بعدة مظاهر، أهمها مشاركتهم في ثورتي أولاد سيدي الشيخ والشيخ بوعمامة، بالإضافة إلى الدعم المادي.

1- مشاركة شعانبة متليلي في ثورة أولاد سيدي الشيخ 1864-1866:

إنّ الباحث في المصادر والوثائق الأرشيفية الفرنسية، سيجد مادة دسمة تتعلق بمشاركة شعانبة متليلي في مقاومة أولاد سيد الشيخ، بل إن الكثير من تلك الوثائق تثبت أن ثورة سي سليمان بن حمزة، قد انطلقت بتشجيع وتحريض من شعانبة متليلي، وأن نقطة انطلاقها كانت متليلي.

فيذكر كوناي A .Cauneille أنه في الوقت الذي كان سي سليمان يحضر للثورة بعد حادثة القرارة سنة 1863، كان قد لقي التأييد المبكر من شعانبة متليلي ومخادمة ورقلة.[17]

---

(14) – أحد الأحياء الكبرى لمدينة متليلي الشعانبة، وأغلب سكانه من أولاد سيدي الشيخ، يتميز بوجود قبة سيدي الشيخ، وكذلك قبة سيدي الحاج بوحفص، إضافة إلى زاوية سيدي أحمد بن بوحفص، يبعد عن وسط المدينة بحوالي كيلومترين جنوبا.

(15) – سيف الدين هيبة: المرجع السابق، ص 137.

(16) –Yves Régnier: Les Chaamba sous le régime français, Loviton, Paris 1938, p166.

(17) –A. Cauneille: Op.cit., p27.

وتشير المراسلات السرية للضباط الفرنسيين إلى أن سي سليمان، بعد أن عزم على الثورة، غادر مقر زاويته بسيدي الحاج الدين في يوم 18 فيفري 1864 بعد أن أخذ معه أخاه سي محمد بن حمزة وكل عائلته ودخل متليلي.[18]

وقد اعترف القائد الأعلى للبيض بيران Burin باتفاق شعانبة متليلي مع سي سليمان على الثورة بقوله: "بعد تمرد سي سليمان أدركت أني كنت عرضة لمخادعة من قبله في متليلي، لأنه أثناء غيابه 24 ساعة كان يتفق مع شعانبة برزقة وأعيانهم لطمأنتي مؤقتا بغرض تنفيذ مخططاتهم التي كانوا يضمرونها."[19]

وهو ما أكّده تقرير الحكومة العامة للجزائر حين أشار إلى أن العديد من القبائل قد استجابت لنداء سي سليمان للثورة؛ فقدمت وحدات من الزوى، من الأغواط الإكسل، ومن الحرار. وتجمعوا تحت راية سي سليمان في حاسي النومرات قرب متليلي؛ أين احتشد شعانبة برزقة وراسلوا آغا ورقلة ليقدم إليهم[20].

أما الضابط تريملي C. Trumelet ، فيذكر أن سي لعلا خيم يومي 17-18 فيفري 1864 شمال متليلي (النومرات) وشرع في جمع المقاتلين من القبائل والأعراش المتحالفة مع أولاد سيدي الشيخ، فاجتمع في هذا المركز أزيد من ألف مقاتل حتى نهاية فيفري1864[21].

لقد استمر دعم شعانبة متليلي للثورة حتى بعد استشهاد سي سليمان؛ وهذا ما أكدته مراسلة الحاكم العام للجزائر ما كماهون (Mac-Mahon) إلى باريس حيث أكد ورود تقرير من العقيد سيروكا (Seroka) يؤكد فيه تجهيز سي لعلا للتحرك من

---

(18) -H.-M-.P. de La Martinière et N. Lacroix: Documents pour servir à l'étude du Nord-Ouest africain, Gouvernement Général de L'Algérie, Alger 1897, t2, p826 .

(19) -Ibid, t2, p842 .

(20) - Gouvernement General de l'Algérie: Notes pour servir l'Historique d'Ouargla 1885, In, R.A, V64, 1923, p409.

(21) -C. Trumelet: Histoire de l'insurrection dans le sud de la province d'Alger en 1864, Adolphe Jourdan Imprimeur-Libraire, Alger, 1879, p 5.

جديد بعد وفاة سي محمد، وقد ذكر في هذه المراسلة المؤرخة بيوم 18 مارس 1865، أن سي لعلا مرفوقا بالناصر بن شهرة قد تحركا صوب متليلي. وأنهما حينما خيما جنوب متليلي التحق بهما سي الزوبير والثائر بوديسة الهارب من سجن الأغواط [22]. ويشير تريملي، بأن سي لعلا بعد ما سئم من منفاه الطوعي في رمال حاسي بوزيد قرر في نهاية فيفري 1866 التحرك من جديد فدخل متليلي طالبا الدعم المادي من الشعانبة، ورغم ما خلفته حملة المقدم دي سونيس قائد الأغواط ضدهم إلا أنهم استجابوا لدعوة سي لعلا وناصروه [23].

2- مشاركة شعانبة متليلي في ثورة الشيخ بوعمامة

بدأت صلات الشيخ بوعمامة تتوثق بالشعانبة منذ أيامه الأولى لدخوله من التراب المغربي؛ فتشير التقارير الفرنسية إلى أنه بعد استقراره في مغرار التحتاني سنة 1878، أصبح شعانبة متليلي يزورون بوعمامة ويقدمون له الهدايا والزيارات قبل إعلان الثورة سنة 1881 [24].

ومن جهته، يذكر الرائد بيسوال (Bissuel): "أن هناك بعض التعاطف في قورارة وتوات وتيديكلت مع ثورة أولاد سيدي الشيخ الغرابة .... أما شعانبة متليلي ورقلة والمنيعة فهم مشتركون فيها بقوة" [25].

---

(22) -Le maréchal de Mac-Mahon: Renseignements sur Si Lala et Si Zoubir et le successeur de Mohamed Ben Hamza, Correspondance à Monsieur Le Maréchale Ministre de Guerre, 18/03/1864, FR ANOM F80/1695.

(23) -C. Trumelet: Op.cit., p 288.

ينظر أيضا : يحي بوعزيز: أضواء على ثورة أولاد سيدي الشيخ 1864-1881، في مجلة الثقافة ، العدد46، أغسطس، سبتمبر1978م، ص ص 11-32.

(24) -H.-M-.P. de La Martinière et N. Lacroix Op.cit., t2, p437 .

(25) -G. Mandeville : L'Algérie Méridionale et le Touat, Augustin Challamel Edition, Paris 1898, p44.

وتتحدث الكثير من التقارير الفرنسية عن مشاركة عموم سكان متليلي في ثورة بوعمامة، وتشير بعضها إلى أنهم كانوا يساهمون باشتراك سنوي في هذه الثورة يقدر بـ30000 فرنك.(26)

وقد توثّقت صلة شعانبة متليلي بالشيخ بوعمامة بعد مصاهرته لهم، حيث تؤكّد التقارير الفرنسية أنه قبل سنة 1890، كانت ربيعة بنت عمه المنور، هي زوجته الوحيدة، قبل أن يتزوج امرأة ثانية من أولاد علوش من شعانبة متليلي وهي أم ولده الصغير العربي(27).

وهذا ما يفسّر مصاحبة شعانبة متليلي لبوعمامة والتفافهم حوله، حتى بعد خروجه إلى المغرب أواخر القرن التاسع عشر. وقد أشارت الكثير من التقارير الفرنسية إلى أن الشعانبة هم أنصار بوعمامة، وقد ظلوا يناوشون السلطات الاستعمارية على طول الحدود من وجدة وتلمسان شمالا حتى البيض جنوبا، بل وصلوا حتى مناطق أبعد في العمق الجزائري.

وقد تأكّد لنا ذلك من خلال مراسلة حاكم الجزائر جونار (M. Jonnart) إلى السيد ديلكاسي (M. Delcassé) وزير الخارجية، المؤرخة بيوم 16 أفريل 1904: "لي الشرف العظيم أن أعلمكم أنه في الأيام الأولى من شهر فيفري، أُبلغت أن مجموعة تضم حوالي ثمانين من الشعانبة ومعهم أولاد جرير من المقربين لبوعمامة، تقدموا إلى غاية حدود الواحات الصحراوية، وهاجموا بحاسي العز شمال تبلكوزا كتيبة عسكرية بعدما قتلوا وجرحوا العديد من أفرادها واستولوا على 300 جمل."(28)

(26) –P. Passager: Metlili des Chaamba étude historique, géographique et médicale/In/ Archives de l'institut Pasteur d'Algérie, T: XXXVI. n:4. décembre 1958, p 512.

(27) –H.-M-.P. de La Martinière et N. Lacroix Op.cit t2, p435 .

(28) –Ministère des Affaires Etranger: Documents Diplomatiques Affaires du Maroc 1901-1905, Imprimerie Nationale , Paris 1905, p125.

3- الدعم المادي:

أما من جهة الدعم المادي، فقد كان شعانبة متليلي يدفعون سنويا وطواعية لأولاد سيد الشيخ مجموعة من الهدايا والزيارات(لَغْفَارة) وقد حدّدتها المصادر الفرنسية، خلال القرن التاسع عشر بما يلي:

- 100 شاة لسي الدين بن حمزة وسي قدور بن حمزة؛
- 30 جملا لسيدي الحاج بوحفص ؛
- 100 شاة لسيدي الحاج الدين ؛

إضافة إلى 12 برنوسا تقدم إلى "خادم" سيدي الشيخ دحمان بن الشيخ، وهو مقيم في متليلي [29].

وأخيرا مجموعة من البرانس وعبايات من الصوف، والسكر، والقهوة، ومواد غذائية أخرى تصل قيمتها إلى 1500 فرنك. كلها ترسل سنويا إلى بوعمامة[30].

كل هذه النذور كانت تدفع سنويا عند الخروج إلى الصحراء في بداية فصل الخريف وتتحملها العروش الثلاثة لشعانبة برزقة.

ولشدة ولائهم لأولاد سيدي الشيخ، فقد بنى الشعانبة قبة سيدي الشيخ سنة 1881 في المكان الذي صلى فيه بمتليلي، وذلك مباشرة بعد قيام السلطات الاستعمارية بتهديم ضريح الأبيض سيدي الشيخ عقب اندلاع ثورة بوعمامة [31].

كما كانوا يقومون في كل سنة بالتجمع حول قبة سيدي الشيخ بمتليلي ويذبحون خمس عشرة شاة وجملين ويعِدّون مائة قصعة من الطعام توزع على الجالسين من زوار القبة [32].

---

(29) –H.-M-.P. de La Martinière et N. Lacroix: Op.cit, t2, p862 .

(30) –أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، 10مجلدات، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ج4، ص 109.

(31) –H.-M-.P. de La Martinière et N. Lacroix: Op.cit., t2, p862 .

لقد بلغ من نفوذ الزاوية الشيخية في المنطقة أن كانت كل القوافل التجارية المتّجهة إلى ميزاب ملزمة بدفع غرامة قدرها فرنك واحد إلى زاوية سيدي الشيخ عند مرورها بمتليلي. وقد قامت السلطات الفرنسية بإلغاء هذا التقليد[33].

ورغم انقسام أولاد سيدي الشيخ إلى فرعين شرقي وغربي فإن شعانبة متليلي كانوا يجِلّون كلا الفريقين، إلا أنهم كانوا في بعض الأحيان يفضلون أحدهما على الآخر على حسب علاقته بالثورة والجهاد ضد الغزاة الفرنسيين. وقد تحدثت التقارير العسكرية الفرنسية عن تفضيلِ شعانبة متليلي لبوعمامة، أواخر القرن التاسع عشر، حيث أكد دي لامارتينيار (De La Martinière)، ذلك بقوله: "منذ بضعة سنين، أصبح شعانبة متليلي لا يدفعون الأموال والهدايا لأولاد سيدي الشيخ الشراقة كما كانوا من قبل، وأصبحوا لا يولونهم اهتماما كبيرا. والسبب هو أن الشعانبة – المتطلعين دائما للاستقلال والثورة– أصبحوا لا ينظرون بعين الرضى لخضوع أولاد سيدي الشيخ لفرنسا. لأنهم كانوا دائما ينظرون لأولاد سيدي الشيخ كأبطال تحرير الجنوب فإذا بهم يغادرون الميدان ويقبلون ولو ظاهريا بهيمنة فرنسا. إنّ الشعانبة غيروا وجهتهم نحو هذا الذي لازال ثائرا منذ خمسة عشر (15) سنة؛ أي بوعمامة."[34]

وفذلكة القول، فإن قبيلة الشعانبة في إطار تشكّلها، قد قبلت في صفوفها العديد من العائلات الوافدة إليها من مختلف الأصول والأعراق؛ وانصهر الجميع في بوتقة واحدة، كما شكّلت الفرق العائلية الوحدة الأساسية في البناء العشائري لقبيلة الشعانبة.

وتأكّد من خلال البحث، بأن علاقة شعانبة متليلي بأولاد سيدي الشيخ خلال القرن التاسع عشر ميلادي، لم تكن علاقة خضوع وتبعية عمياء، وإنما كانت علاقة

(32) –Ibid, t2, p861 .

(33) –Ibidem.

(34) –Ibid, t2, p862 .

قائمة على الود والاحترام وتقديس رجال التصوف والأولياء الصالحين، كما تأثرت العلاقة بينهما في بعض الفترات؛ بسبب الأحداث السياسية المضطربة التي شهدتها الجزائر آنذاك، خاصة فيما يتعلق بالمحتل الفرنسي، إلا أنها لم تكن تنحو نحو القطيعة.